رأي

بقلم
د. الكسندر أبي يونس*

نهر الليطاني حلم إسرائيل المستحيل

طالب وزير المال الاسرائيلي بتسلئيل سموتريتش في 23 آذار 2026 بجعل نهر الليطاني الحدود الجديدة بين اسرائيل ولبنان، ودعا الى السيطرة على جنوب لبنان. يشاركه في هذه الرؤية القديمة - الجديدة العديد من الاسرائيليين بحجة حماية سكان شمال فلسطين المحتلة. لكن هذه الحجة ليست سوى غطاء لما يضمرونه منذ 117 سنة، اذ سعت الحركة الصهيونية بشكل دائم الى ان يكون نهر الليطاني من ضمن حدود فلسطين لكي يؤول اليها عند تأسيس دولة اسرائيل. فالصهاينة لم يخفوا اطماعهم بالليطاني، والحكومة الاسرائيلية الحالية لم تعلن هدفا جديدا عن مخططها بتحويل نهر الليطاني الى حدود جديدة لدولة اسرائيل، فهو حلم يراودهم دائما لأنه يؤمن فوائد اقتصادية مهمة.

يعد الليطاني من أكثر القضايا الجيوسياسية تعقيدا في الصراع اللبناني - الاسرائيلي، حيث يمثل شريان الحياة للبنان وهدفا تاريخيا لاستراتيجيات الامن المائي الاسرائيلية. فما هي أبرز محطات الصراع على الليطاني بين اللبنانيين والصهيونيين؟ وما هو واقعه القانوني بالترسيم الانتدابي وبالترسيم السيادي؟

اسمه الكلاسيكي Leontis اي الاسد، وقد يكون ساميا: الملعون. ويرجح لغويون انه مشتق من كلمة Lotan او Litanu وتعني التنين او الثعبان المائي في الاساطير الكنعانية وكان يرمز لقوى الفوضى والبحار التي صارعها الاله بعل. في اللغة السريانية تعني المتلوي أي الانهار التي تخترق تضاريس جبلية وتغير اتجاهها بشكل حاد كما يفعل الليطاني عند جسر الخردلي

حيث ينعطف غربا، وقبل ان يصب في البحر يسمى القاسمية نسبة الى مزار ولي هناك يعرف بالنبي قاسم او نسبة الى توزيع المياه وقسمتها بين المناطق.

يعتبر نهر الليطاني الاكبر في لبنان، يبلغ طوله 170 كلم، وقدرته المائية تبلغ تقريبا 750 مليون م3 سنويا. ينبع من نبع العليق (جنوب غرب بعلبك)، وتغذيه روافد كأنهر البردوني، شتورة، قب الياس، عنجر، الغزال، ينابيع عميق، الفوار، راس العين، وشمسين. يجري هذا النهر في سهل البقاع الجنوبي بمنحنى بطيء على مستوى يتراوح بين 800 و1000 متر، وحينما يصل الى اقدام بلدة القرعون يدخل في خانق عميق، ثم ينحدر بقوة ويتجه غربا عند جسر الخردلي على سفح اقدام قلعة الشقيف ويصب في البحر على بعد 7 كلم شمال صور.

يتلخص المفهوم الصهيوني لحدود اسرائيل منذ العام 1909 بانه سيطرة اوسع على القوة المائية التي تنتمي الى فلسطين وليس الى سوريا. لذلك فان اغلب الاطروحات الحدودية التي تقدم بها مفكرو الصهيونيين كانت تشدد على ان الحدود الشمالية لفلسطين هي الحدود الجنوبية لمتصرفية جبل لبنان (1861-1918). فتيودور هرتزل ركز في مذكراته على الجنوب اللبناني وعلى جبل الشيخ (حرمون) لأهميتهما الاقتصادية والعسكرية، ولاحتوائهما مصادر المياه الضرورية لتطوير الحياة الاجتماعية في فلسطين. هذه الاساطير الصهيونية الوهمية الحدودية يدحضها المؤرخ الاسرائيلي شلومو ساند في كتابه اختراع أرض اسرائيل.

في المقابل، طالب اللبنانيون في مؤتمر الصلح (1919-1920) بتوسيع حدود متصرفية جبل لبنان، اعادة الاراضي التي سلخت عنه، وتأسيس الدولة اللبنانية وفقا للحدود الواردة في خارطة الجنرال الفرنسي دي بوفور العائدة لسنة 1861، والتي تشمل نهر الليطاني والجنوب اللبناني وبحيرة الحولة.

جاء التفصيل الصهيوني الاول لمسألة الحدود، في المذكرة التي تقدم بها وفدهم من مؤتمر الصلح سنة 1919 وفيها ترتسم الحدود الشمالية لفلسطين كالتالي: ان حدود فلسطين تبدأ في الشمال على شاطئ البحر المتوسط بجوار صيدا وتتبع مفارق المياه عند تلال سلسلة جبال لبنان حتى تصل الى جسر القرعون، فتتجه منه الى البيرة، متبعة الخط الفاصل بين حوضي وادي القرن ووادي التيم، ثم تسير في خط جنوبي متبعة الخط الفارق بين المنحدرات الشرقية والغربية لجبل الشيخ حتى

جوار بيت جن، وتتجه شرقا متبعة مفارق المياه الشمالية لنهر مغنية حتى تقترب من الخط الحديدي الحجازي الى الغرب منه. رفضت الوفود اللبنانية الثلاث الى مؤتمر الصلح مطالب الصهيونيين، وطالبت بأن يضم لبنان الكبير جبل الشيخ ونهر الليطاني وبحيرة الحولة. وقد ضغطت الحركة الصهيونية برئاسة حاييم وايزمن على رئيس الوفد اللبناني الثالث المطران عبدالله الخوري وعلى اميل اده لكي يوافقا على تعديل الحدود الشمالية لفلسطين لكي تشمل الجنوب اللبناني، فرفض اده هذا المطلب لأنه ادرك ان الصهيونيين يريدون ضم نهر الليطاني الى فلسطين لكي يتم وضع يدهم على مياهه، وتحويلها الى منطقة الحولة ومنها الى بحيرة طبريا.

وسبق لوايزمن ودافيد بن غوريون ان اجتمعا بالبطريرك الماروني الياس الحويك الذي كان رئيسا للوفد اللبناني الثاني الى مؤتمر الصلح يطالب بإنشاء لبنان الكبير، فحاولا اقناعه بالتخلي عن جنوب لبنان في مقابل مده بمساعدات مالية وفنية لتطوير لبنان الذي سيصبح دولة ذات اكثرية مسيحية، فرفض البطريرك طلبهما وأصر على مطلبه.

بعد اعلان المملكة السورية في آذار 1920 ورفضها اللبنانيون، وافقت فرنسا على انشاء دولة لبنان الكبير، فوسعت حدود متصرفية جبل لبنان في 31 آب 1920 وضمت اليه اقضية بعلبك والبقاع وحاصبيا وراشيا، وقسما من سنجق صيدا من ضمنه نهر الليطاني. خلال عهد الانتداب الفرنسي على لبنان (1920-1943) والانتداب البريطاني على فلسطين، طالبت الحركة الصهيونية بتحويل السيادة على الليطاني من لبنان الى فلسطين، لأنهم اعتبروا الليطاني عنصرا اساسيا في مشاريع الاستيطان الصهيوني. وسارعوا الى الترويج لفكرة ان لبنان يملك فائضا من المياه لا يحتاجه، وان مياه الليطاني تضيع في البحر. وكان الهدف من هذه الدعاية والاشاعة هي شرعنة مطالبهم بمشاركة مياه النهر او تحويل جزء منه. فجاء الرد سنة 1923 عبر اتفاقية بوليه-نيوكومب بين الفرنسيين والبريطانيين والتي وقعها الفرنسي Paulet والبريطاني Newcombe وقد ثبتت نهر الليطاني بأكمله داخل الاراضي اللبنانية، راسمة الحدود الجنوبية للبنان مع فلسطين، تاركة النهر والمناطق الممتدة جنوبا حتى الحدود، ضمن الانتداب الفرنسي على لبنان، وليس ضمن الانتداب البريطاني على فلسطين. هكذا، حسمت الحدود بموجب هذه الاتفاقية وهي الحدود الدولية الحالية تقريبا، وابقت حوض الليطاني ومجراه كاملا تحت السيادة اللبنانية، ليصبح الليطاني نهرا وطنيا لبنانيا وليس نهرا دوليا. لكن الحركة الصهيونية بقيت تنظر الى الليطاني كعنصر عسكري واقتصادي لا غنى عنه، وارادوه حدود طبيعية بخاصة وان الحلم الصهيوني راى في جبل الشيخ ونهر الليطاني وحدة هيدرولوجية واحدة، وان السيطرة على الليطاني تسمح بري الجليل والنقب عبر التحويل.

ان الاتفاق البريطاني - الفرنسي ادى الى ردة فعل صهيونية ترجمتها في مخططات عدوانية توسلتها في محاولتها رسم جغرافية الحدود الشمالية عبر مشاريع مائية خلال اوقات متباعدة، وأصبح موقع الليطاني في صلب مخططات الاستيطان والتنمية الصهيونيين. وطرحت الصهيونية مشاريع عدة للامساك بمفاصل الثروة المائية في لبنان تكون مقدمة لتوسع وسيطرة لاحقين، بخاصة بعد فشل محاولات التمدد الجغرافي المباشر والوصول الى منابع الليطاني. لقد ضمنت المخططات المائية استمرار التفاف الاحزاب الاسرائيلية حول رأي واحد في التعامل مع نهر الليطاني، والمصادر المائية في سفح جبل الشيخ.

اول المشاريع المائية المتعلقة بالليطاني، والتي تعاملت معها الحركة الصهيونية جديا لحظة استقلال لبنان، كانت الدراسة التي اجرتها سلطة مياه فلسطين سنة 1943 ودعت فيها الى استثمار 6/7 من مياه الليطاني في فلسطين. بعدها كان مشروع الاميركي والتر لودرميلك سنة 1944 الذي يعتبر اساسا لجميع مشاريع تنمية الموارد المائية في اسرائيل.

ان قيام دولة اسرائيل سنة 1948، وقبولها عضوا في الامم المتحدة بعد ان تعهدت حكومتها بتنفيذ القرار 181 تاريخ 29 تشرين الثاني 1947 المتعلق بتقسيم فلسطين الى دولتين، لم يغير من واقع الطموحات السياسية الاسرائيلية في تغيير حدودها على الرغم من توقيعها على اتفاقية الهدنة مع لبنان في 23 آذار 1949 التي اقرت الحدود الدولية بين لبنان وفلسطين خطا للهدنة الدائمة. وقد تم ترسيم الحدود رسميا في كانون الاول 1949 في إشراف الامم المتحدة بعد اجتماعات مطولة شارك فيها عن الجانب الاسرائيلي غوزنسكي وسيغال، وعن الجانب اللبناني الكابيتان غانم والكابيتان ناصيف والسيدان مسرة وبتيغور والليوتنان كولونيل شهاب، وتم الاتفاق على الترسيم على قاعدة اتفاقية بوليه - نيوكومب. على الرغم من اتفاقية الهدنة، ظلت الطموحات الاسرائيلية ماثلة، ففي سنة 1951، حاولت اسرائيل القيام بعملية عسكرية لضم القسم الجنوبي من لبنان اليها جاعلة نهر الليطاني خط حدودها الشمالية.

في نيسان 1954، تبنت اسرائيل مشروع جون كوتون وطالبت بموجبه بضم مياه الليطاني الى منظومة توزيع المياه الإقليمية (مشروع مياه الاردن)، بحجة ان هناك فائضا في الليطاني يذهب ضياعا في البحر، مقترحة تحويل 400 مليون متر3 منه سنويا الى بحيرة طبريا، وان تنحصر استفادة لبنان بمشاريع الطاقة الكهربائية!

سارعت الدولة اللبنانية للرد على مشروع كوتون، فانشأت المصلحة الوطنية لنهر الليطاني في آب 1954 بهدف تنفيذ مشاريع ري وماء شفة للبقاع والجنوب والساحل، ومشاريع تجفيف وانتاج طاقة كهرومائية لتنمية القطاع الزراعي والصناعي والكهربائي. وللاستفادة من مياه الليطاني، كلفت الحكومة اللبنانية رئيس مصلحة الليطاني المهندس ابراهيم عبدالعال وضع دراسة لتنفيذ مشروع الليطاني، ففعل ذلك ووضع كتابا اسماه الليطاني، وجاءت دراسته مطابقة لدراسة الانتداب الفرنسي والبعثة الاميركية.

نفذ من مشروع الليطاني على الصعيد الكهربائي سد القرعون، ونفقا مركبا ونيحا، وحوضا انان وبسري، ومعامل مركبا وبول ارقش وشارل حلو، باستثناء مشروع سد الخردلي الذي لم ينفذ بسبب اهمال داخلي وتهديدات اسرائيلية. اما على الصعيد الاروائي فتم تنفيذ مشاريع القاسمية ولبعا وري جزء من البقاع الغربي، بينما لم يستكمل الجزء الآخر ولم ينفذ مشروع ري جبل عامل على علو 800 متر، والمعروف بمشروع 800 لأن اسرائيل تعارضه وتعتبره تغييرا في الواقع المائي قد يؤثر عليها، رغم كونه حقا سياديا لبنانيا.

سنة 1955، أعلن بن غوريون عن خطته حول الليطاني والمعروفة باسمه، وقد صنفت بالاستراتيجيا الكبرى. يرى بن غوريون ان لبنان هو الحلقة الاضعف في المحيط العربي، معتبرا انه دولة هشة يمكن تقسيمها، لذلك اقترح ضم جنوب لبنان حتى الليطاني الى إسرائيل، ليكون النهر هو حدودهم الدائمة.

السيادة على نهر الليطاني لبنانية بالكامل من الناحية القانونية والدولية، فهو وطني لأنه ينبع ويجري ويصب بالكامل داخل الاراضي اللبنانية، فلا يحق لأي دولة مجاورة المطالبة بمياهه بموجب القوانين الدولية التي تنظم الانهار الوطنية، وهو ما ضمنته كل القرارات الدولية، بخاصة القرارين 425 و1701.

لقد مر الصراع على الليطاني بمحطات ميدانية وسياسية حاولت فيها اسرائيل الوصول الى النهر والسيطرة عليه، كان أبرزها عملية الليطاني سنة 1978، ومن ثم اجتياح 1982 واحتلال الجنوب (1982-2000) فسيطرت اسرائيل عسكريا على المجرى السفلي للنهر، وانتشرت حينها تقارير عن قيامها بحفر أنفاق سرية لسحب المياه الى بحيرة طبريا. واعادت حرب تموز 2006 رسم الخط الاحمر عند الليطاني، ونص القرار الدولي 1701 على جعل المنطقة الواقعة بين الحدود ونهر الليطاني منطقة خالية

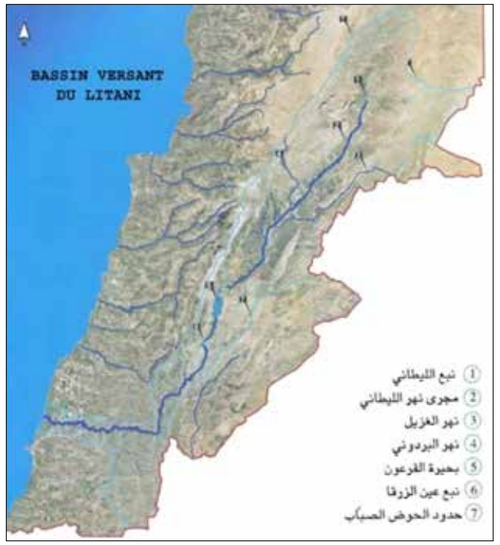

من اي مسلحين او معدات حربية، عدا التابعة للجيش اللبناني وقوات اليونيفيل. اصبح النهر هنا حدا امنيا وجغرافيا اساسيا في الاستراتيجيا الدولية.

بعد اصطدام الاحلام الاسرائيلية باتفاقية بوليه - نيوكومب والسيادة اللبنانية، تحول الفكر الصهيوني من المطالبة بالضم المباشر الى اعتبار جنوب الليطاني منطقة عازلة واقعة تحت سيطرتهم الامنية لحماية مستعمراتهم الشمالية. اليوم، يواجه الليطاني تحديات داخلية توازي الاطماع الاسرائيلية، أبرزها التلوث، اذ يعاني النهر من مستويات تلوث خطيرة بسبب الصرف الصحي والنفايات الصناعية.

بقي نهر الليطاني في الوجدان السياسي الاسرائيلي المورد المفقود والفرصة الضائعة للأمن المائي، بينما يمثل للبنان معيارا للسيادة الوطنية والبقاء الاقتصادي. ان موقع الجنوب اللبناني من الصراع مع اسرائيل، هو موقع الليطاني نفسه من مشاريع الاستيطان والري التي تتكرر باستمرار على صفحات مطالب الكيان الصهيوني. ولا يمكن تصور الاخطار المحدقة بجنوب لبنان الا من خلال النظرة الى ما تعتبره اسرائيل ثوابت سياسية - مائية حددت الكثير من مواقفها ومشاريعها المستقبلية. لذلك، على اللبنانيين الا يتركوا قراهم الجنوبية مهما كانت التضحيات، وينتبهوا من المخططات الاسرائيلية التي تهدف الى الاستيلاء على ارضهم ومياههم.

* استاذ محاضر في الجامعة اللبنانية

MARTON INDUSTRIES

The 30 years of experience in acoustic treatments as well as in residential muffler manufacturing, especially for low frequencies, are the core of the "Know How" of Marton Industries. In addition to its solid background, tough team work and ingenious progress planning rendered this society a pioneer in matter. Therefore, Marton Industries hold all advantages to provide the best and most efficient solutions to reduce pollution and minimize the disturbing noise for its surrounding. Furthermore, our horizon doesn't stop here. It goes beyond metallic & stainless steel structures, lift doors, water & waste water treatments and fire rated doors.

Address: Joseph Hakim Bldg, Behind NATGAZ, Industrial City, Nahr El-Mott
Tel: 01/885442 01/885443 76/132013 03/637790 Fax: 01/885443 Email: tony@martonind.net